جواب الرصافي

« على الاقتراح »

اذا رأيت أمة لا يرغب ابناؤها في اقتناء معجم لغوي مر على وضعه وطبعه بضع سنين فاعلم ان لتلك الامة لغة حية .

خذ بيد من لقيت وانت ماش في شارع المدينة ثم ادخل به في سفينة بخارية او قف به أمام قاطرة او سيارة او طيارة او نحو ذلك من محدثات العصر وسله عما دق وجل في هذه المحدثات من آلات وهنات فان اجابك باسم كل مسمى سألته عنه فاعلم ان ذلك الرجل انما يتكلم بلغة حية .

اما نحن فعن هذا عاجزون تراانا نرجع في معرفة اللغة الى معاجم مرت على وضعها وطبعها القرون كأن اللغة عندنا شيء لا يتغير وكأنها ليست من صفات الحي الناطق تابعة له في تطوره بتأثير الزمان والمكان ومرتقية معه بعوامل العلم والعرفان .

نحن اليوم لو جئنا أعلم رجل بالعربية فسألناه عما حصل في العلوم والفنون العصرية من مصطلحات وما جد فيها من آلات وأدوات وما رتب للتجارب فيها من مختبرات لوجدناه شبه الاعجم لا يحير جواباً .

فلغتنا الفصحى اذن ليست بلغة علم وليست بلغة حية . وما حياة اللغة الا بنموها وتطورها باطوار المتكلمين بها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فان أردنا ان نجعلها لغة حية فلا بد من ان نتوسع فيها الى اكثر مما يدعونا اليه الاستاذ المغربي . وذلك بان نجعل الاشتقاق فيها قياسياً وان نفتح باب التعريب — الذي سد في وجوهنا كما سد باب الاجتهاد في الدين — على مصراعيه و بان نفهم ان مفردات اللغة انما تتقرر باستعمال العامة اللهم الا مصطلحات العلوم والفنون فانها تتقرر بوضع الخاصة واستعمالهم اياها . فيجب اذن ان ندخل في معاجمنا كل ما وقع به التفاهم بين العامة من الكلمات الاجنبية التي لا نجد ما يقابلها في الفصحى فنثبتها في المعاجم كما تكلمت بها العامة او بعد شيء من الصقل والتحوير والا أصبحت لغتنا جامدة جمود عقولنا في الامور الدينية .

وها انا ذا أتعقب كلاً من الاصناف السبعة التي ذكرها الاستاذ المغربي بما يتضح منه رأيي فيها فأقول :

(الصنف الاول) — من التعصب الاعمى التردد في جواز استعمال (تبدى) بمعنى بدا بعد ورودها في شعر ابن معدي كرب . حتى اننا لو فرضنا ان هذا الشعر مصنوع لما جاز ان نتردد في استعمالها جرياً على قواعد الاشتقاق الذي هو قياسي كما قلت آنفاً . فكيف وقد وردت في شعر عمرو . اما منع استعمالها بحجة انها لم تذكر في معاجم اللغة فليعذرني الاخوان اذا قلت انه من السخافة بمكان . او ليس من السخافة ان يدعي مدع ان معاجمنا اللغوية قد حوت كل ما تكلمت به العرب وانها لم تغادر صغيرة ولا كبيرة من كلامهم الا ذكرتها . فهذا الصنف على ما اري لا حاجة فيه الى الافتاء والاستفتاء بل نستعمله ولو كره الجامدون .

(الصنف الثاني) — أوافق الاستاذ على جواز استعمال هذا الصنف من الكلمات بلا تردد لان القياس لا يأباه ولان اللغة تتقرر كما قلت آنفاً باستعمال العامة فكيف وقد استعملتها الخاصة كالطبري واليازجي والشيخ محمد عبده .

(الصنف الثالث) — ان الذي يمنع جواز استعمال هذا الصنف من الكلمات والتراكيب عليه ان يمنع اولاً جميع المصطلحات التي اصطلح عليها علماء المسلمين قديماً في المعقول والمنقول من العلوم التي تكونت في ابان النهضة العلمية الاسلامية . وحينئذ نرجع بلغتنا الى عهد امرئ القيس فلا نتكلم الا بلفته . لا ريب ان الكلمات التي هي من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا الصنف انما أوجدتها الحاجة اليها الحاصلة من تقدم الامة في العلم وتطورها في السياسة والادارة وغير ذلك من وجوه الحياة الاجتماعية فعلى القائل بمنعها ان يأتينا بما يؤدي معناها من لغة امرئ القيس ثم يقول بمنعها .

(الصنف الرابع) — لا يا أيها الاستاذ المغربي انك لا تلقى صعوبة في موافقة زملائك على استعمال هذا الصنف من الكلمات لانهم مضطرون الى استعمالها ان شاؤوا وان لم يشاؤوا ، ولان القياس معك . وما أدري لما ذا لم نشتق من الخبر مخابرة . ثم ان العرب قالت تفرج الغم بمعنى تكشف فنحن كما نستعمل تفرج بهذا المعنى لنا ان نولد منه معنى آخر مأخوذاً من المعنى الاول فنقول تفرجت على كذا بمعنى نظرت اليه لينكشف بالنظر اليه غمي فيكون في الكلام ضرب من المجاز . ذلك لان العامة انما يقصدون في الغالب بالتفرج على امر من الامور دفع الغم وترويح النفس لان التفرج عندهم لا يكون الا على امر غريب يسر الناظرين ولو من بعض الوجوه . وكذا القول في تنزه في البستان واختار في امره وقد استعمل هذه الاخيرة في شعره الشيخ عبد الغني النابلسي اذ قال :

(حكم حارت البرية فيها وحقيق بانها تختار)

وكذا ابن عابدين في تسمية كتابه « رد المحتار على الدر المختار » وكلاهما من الخواص والقياس يجيز لنا اشتقاق اختار من حار .

(الصنف الخامس) — نحن أمام سيل جارف من هذه الكلمات الاجنبية لا يرد تياره تعصبنا للغة . ثم نحن في أشد الحاجة اليها اذ هي على مجرى حياتنا اليومية فليس من الممكن ان نحيد عنها او ان نتجنبها مهما اردنا ذلك . فالصواب هو كما قلت سابقاً ان نفتح باب التعريب على مصراعيه وان نأخذ منها ما نقرر باستعمال العامة اياه بعد صقله وتحويره ان كان فيه شيء من النافر او الثقل او الخشونة بالنسبة الى لهجتنا العربية .

وما أدري لما ذا نتحاشى التعريب الذي جرى عليه أسلافنا الاولون متجاوزين فيه مقدار الحاجة . ومن المعلوم ان التعريب لا يشترط فيه كون المعرب ليس له ما يقابله في العربية لان العرب قد اخذوا من لغات الاعاجم كثيراً من الاسماء التي هم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في مندوحة من تعريبها بوجود ما يقابلها في لغتهم بل ان بعض معربانهم أماتت ما يقابلها من الكلمات الكائنة في لغتهم واستبدت بالاستعمال في اللغة العربية .

(الصنف السادس) — هذا الصنف من أغرب ما رأيته في اقتراح الاستاذ المغربي ولقد وقفت تجاهه متحيراً لم أدر ما ذا أقول . هب مفردات اللغة موقوفة على السماع ولكن من ذا الذي قال وادعى ان التراكيب بما فيها من تشبيه واستعارة ومن مجاز وكناية موقوفة ايضاً على السماع من العرب الاولين هذا لعمرك ما لم اسمعه قبل اليوم . لماذا لا اقول (ذر الرماد في العيون) كناية عن التعمية والاخفاء ؟ ! التركيب عربي محض جار على ما تقتضيه قواعد اللغة . ومفردات هذا التركيب عربية ايضاً فلما ذا لا انطق بهذه الجملة ألان العرب الاولين لم ينطقوا بها . سبحان الله أينحط بنا الجمود الى هذا الدرك ؟ ! . لماذا لا ذكر الربيع وأريد به السنة كلها ؟ ومن الذي حظر عليّ استعمال هذا المجاز الشايع في كلام العرب من ذكر الجزء وارادة الكل ؟ لا احب ان اطيل الكلام في هذا فانه من العبث .

(الصنف السابع) — ان الكلام على هذا الصنف من التراكيب العامية لم يحن حينه بعد فلذا أمر به ساكتاً بلاجواب سوى انني اقول ان هذه المسألة (أعني مسألة اللغة العامية) من أهم مسائلنا الحاضرة فيجب ان ننظر فيها نظراً دقيقاً وان ندرسها درساً متقناً حتى نميز فيها الحق من الباطل والا فالبت في تركها والاعراض عنها لايكون في شيء من الصواب على ما ارى . وربما كتبت رسالة خاصة في هذه المسألة ان ساعدني الوقت .

* * *